

## بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة الكرام، مع الدرس السادس عشر من سورة غافر، ومع الآية الستين، وهي قوله

تعالى:

وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ

وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ

دَاخِرِينَ(60)

سورة غافر

1 .الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ:

قال عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح:

**الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ.**

الترمذي عن النعمان بن بشير

استنباطاً من هذه الآية، بدليل أن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ لم يقل: عن دعائي، قال: ﴿عَنْ عِبَادَتِي﴾ إذاً: العبادة هي الدعاء، والدعاء هو العبادة.

2 . الدعاء اعتراف بضعف العبد وافتقاره إلى ربه:

أيها الإخوة، الإنسان حينما يدعو الله سبحانه وتعالى، يعترف بضعفه وبقوّة الله، يعترف بفقره وبغنى الله عزّ وجل، يعترف بجهله وبعلم الله، فالداعي دائماً ضعيف، والمدعو قوي، فإذا عرف الإنسان

نفسه، وعرف افتقاره إلى الله، وعرف ضعفه، وعرف قوة الله، ورحمته، وعلمه، وحكمته، وغناه، وقدرته، إذا عرف ضعفه، وعرف قوة الله فقد عَبَدَ الله عَزَّ وَجَلَّ، أي أنه تلبَّس بالعبودية، عرف حدَّه فوقف عنده، وعرف ربَّه فأقبل عليه، هذه هي العبادة.

## الفرق بين الطاعة والعبادة:

العبادة في مجملها وفي أدق معانيها: طاعةٌ لله عَزَّ وَجَلَّ، لكن هذه الطاعة ليست قسريَّة، إنما هي طوعيَّة، لو أنها قسريَّة لم تكن عبادة، والفرق بين طاعة الأقوياء وبين عبادة الله عَزَّ وَجَلَّ أن طاعة الأقوياء قسريَّة، لكن عبادة الله طوعيَّة، لذلك الفارق الدقيق بين الطاعة والعبادة أن الأولى قسريَّة، لكن الثانية طوعيَّة.

فارقٌ آخر: العبادة طاعةٌ طوعيَّة لكنَّها ناتجةٌ عن محبَّة ذاتيَّة، مع الطاعة الطوعيَّة محبَّة ذاتيَّة، لكن طاعة الأقوياء أوَّلًا قسريَّة ولا تشوبها المحبَّة، طاعةٌ قد يشوبها الحقد، قد يشوبها الألم، قد يشوبها القهر. فالعبادة كما قال بعض العلماء: غاية الخضوع، مع غاية الحُب، مع غاية الإخلاص، خضوعٌ وحُبٌ وإخلاص.

لكنَّ النفس البشريَّة لها طبيعةٌ خاصَّة، إنها لا تحب إلا الكامل، ولا تطيع إلا ما هو في صالحها، فإذا عرف الإنسان الله؛ عرف كماله، عرف أنه موجود، وعرف أنه واحد، وعرف أنه كامل، وعرف أنه يعلم، وعرف أنه سيحاسب، هذه خمسة أفكار؛ عرف أنه موجود، بل عرف أنه لا موجود معه، هو الوحيد، عرف أنه موجود، وعرف أنه كامل:

وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (180)

سورة الأعراف

وعرف أنه واحد، وعرف أنه يعلم، وعرف أنه سيحاسب، إذا عرف هذه الحقائق الخمس فلا بدَّ من أن يطيع الله عَزَّ وَجَلَّ، إذاً: هذه العبادة التي هي طاعةٌ طوعيَّة ممزوجةٌ بمحبَّة قلبية أساسها معرفةٌ يقينيَّة.

لكن ما الهدف؟ ليس الهدف أن تعرف، ولا أن تطيع، الهدف أن تسعد، لأن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق ليسعدهم، خلق الخلق ليرحمهم، قال تعالى:

إِلَّا مَنْ رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لِأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (119)

سورة هود

خلقهم ليرحمهم، خلقهم ليسعدهم في جنّة عرضها السماوات والأرض، هذا هو الهدف الكبير من خلق الإنسان، لكن لأن هذه الرحمة رحمةً أبديةً سرمديّةً، متعاطمةً متناميةً، هذه الرحمة فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، هذا العطاء العظيم والمديد والكبير يحتاج إلى إعداد، الإعداد في الدنيا، الدنيا إذاً مزرعة الآخرة، الدنيا إذاً دار عمل، الدنيا إذاً دار تكليف، في الآخرة التشريف، في الآخرة الجزاء، في الآخرة جنّة عرضها السماوات والأرض، في الآخرة حياةً أبديةً سرمديّةً، متناميةً متعاطمةً، لا قلق، ولا حزن، ولا مرض، ولا همّ، ولا خوف، ولا أي شيء يزعج الإنسان.

إذاً: الأصل أن تعرفه، ثمّ تطيعه، ثمّ تسعد بقربه في الدنيا والآخرة، هذا هو أساس كل الدين، الدين ثلاث كلمات؛ جانب معرفي، جانب سلوكي، جانب جمالي، والجمالي هو الهدف، الجمالي تذوق منه طرفاً في الدنيا، وتذوقه كلّهُ في الآخرة، الهدف أن تسعد.

ألا تمرّ بالإنسان أحياناً ساعات يشعر بها بالسعادة؟ لو فرضنا أنه شعر بنشاطٍ شديد، وأكل أكلةً طيبة، وكان بين أهله وأولاده، وهم سالمون معافون، وكان له دخلٌ يغطّي نفقاته، ألا يشعر بساعة من الساعات أنه مرتاح مطمئن؟ فهذه لحظة عابرة، لكن هذا الشعور بالسعادة يستمر إلى أبد الأبدين، الإنسان قد يسعد من باب المجاوزة، من باب المجاز إذا توافرت له صحّةٌ طيبة، وحاجاتٌ، وسمعةٌ، ومكانةٌ، أما لو توافرت له هذه الحاجات كلها بشكلٍ متنامٍ متعاطمٍ إلى أبد الأبدين فهذا هو الفوز العظيم.

**يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (71)**

سورة الأحزاب

إذاً: الدين معرفة وسلوك وسعادة، معرفة في البداية، سلوك في الوسط، سعادة في النهاية، وكل إنسان يسلك طريقاً آخر يُتَّهَمُ بالغباء، والجنون، والحمق، لو التقيت بأذكي إنسان يحمل أعلى شهادة، وهو متلبّس بالمعصية، بإمكانك أن تدمغه بالحمق والغباء والجنون، لأنه يسلك طريقاً مسدوداً تنتهي بهاوية وحفرةٍ ما لها من قرار.

### 3. الدعاء لا يفارق المؤمن في جميع أحواله:

إذاً: الإنسان أحياناً يميل للتوسّع والتفصيل، وأحياناً يميل للإيجاز والضغط، العبادة؛ معرفة، وسلوك، وسعادة، جانب معرفي، وجانب سلوكي، وجانب جمالي هذه العبادة، هي طاعةٌ تسبقها معرفة تعقبها سعادة، أحد أبرز مظاهر العبادة الدعاء، الصلاة عبادة، الصوم عبادة، الحج عبادة، غض البصر عبادة، ضبط اللسان عبادة، أن تقيم بيعك وفق الشرع أنت عابد لله، ألا تكذب، وأن تصدق فهذه عبادة،

لكن هناك عبادات شعائريّة؛ صلاة وصوم وحج، وهناك عبادات تعاملية؛ صدق، وأمانة، واستقامة، وبيع حلال، وكسب حلال، وإنفاق حلال، وغض بصر... إلخ.

العبادات الشعائريّة والتعاملية بمجملها عبادة، أحد أكبر مظاهرها الدعاء، إنك بالصلاة تتصل بالله في اليوم خمس مرّات، بالصيام تتصل بالله في العام شهراً، بالحج تتصل بالله في عمرك شهراً، لكنك بالدعاء تتصل بالله عند كل حركةٍ وسكنة.

فالنبي عليه الصلاة والسلام كانت له أديّةٌ منوّعة، أديّةٌ يدعوها كل يوم، وأديّةٌ يدعوها في مناسباتٍ خاصّة، فإذا ذهب لينام فله دعاء، إذا استيقظ في منتصف الليل ليصلي فله دعاء، إذا استيقظ لصلاة الفجر فله دعاء، إذا جلس ليأكل فله دعاء، إذا انتهى من طعامه فله دعاء، إذا ارتدى ثيابه فله دعاء، إذا خرج من بيته فله دعاء، إذا دخل المسجد فله دعاء، إذا خرج من المسجد فله دعاء، إذا ذهب إلى السوق فله دعاء، إذا سافر فله دعاء، إذا مرض فله دعاء، إذا ارتدى ثوباً جديداً فله دعاء، يكفيكم على هذا دليلاً كتابُ الأذكار للإمام النووي، أذكار النبي، له أديّة في كل أحواله، وهناك تفاصيل في هذا الكتاب دقيقةٌ جداً، أحوال الإنسان مهما بدت لكم كثيرةً ومنوّعةٌ ودقيقةٌ فكل حالٍ من حال الإنسان يغطيه دعاءٌ رائع.

لذلك فالإنسان يسعد إذا دعا الله عزّ وجل، أليس هناك أوقاتٌ كثيرةٌ تمضيها وأنت تنتظر، أو تمشي في طريق، أو تجلس تنتظر دورك عند طبيب، أو في أي مكانٍ آخر، أو في دائرة حكوميّة، هذا الوقت الذي تمضيه قسراً ينبغي أن تملأه بالدعاء، إذا دخلت لمكان تخشى أن يُرفض طلبك فهناك دعاء، إذا واجهت عدواً لك شرساً فله دعاء، إذا أصابك مكروه فهناك دعاء:

### الدُّعَاءُ مُخُّ الْعِبَادَةِ.

من سنن الترمذي عن أنس بن مالك وهو ضعيف

كما قال عليه الصلاة والسلام.

أحد أبرز العبادات الدعاء، وكلّما أكثر من الدعاء كنت أقرب إلى الله عزّ وجل، فبالدعاء بإمكانك أن تلتفت إلى الله وتتصل به في اليوم لا خمس مرّات، بل مئات المرّات، بل ألوف المرّات، لأنك كيفما تحركت أنت مغموراً بنعم الله، فعليك أن تدعو الله باستمرارها، وكيفما تحركت فهناك مفاجآت مخيفة، فمن خلال المفاجآت تدعو مستعيذاً بالله، ومن خلال النعم تدعو شاكرًا له، فإذا فسّرنا قوله تعالى:

### الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ (23)

سورة المعارج

لا ترى عبادةً يمكن أن يداوم عليها الإنسان كالدعاء، هذا الاتصال المستمر، مرّة التجاء، مرّة ثناء، مرّة خوف، مرّة دعاء، مرّة تسبيح، مرّة ذكر، فالمؤمن على اتصالٍ دائمٍ بالله من خلال الدعاء، لكن هناك علماء جزاهم الله خيراً قالوا هذه آية: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾

معنى: وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ

المعنى الأول:

ما أمرنا بالدعاء إلا ليجيبنا، هذا المعنى الأول، لو أنه لا يجيبنا ما أمرنا بالدعاء، لأنه سيجيبنا، وسيكرمنا، وسيعطينا سؤالنا أمرنا بالدعاء، فما أمرنا أن ندعوه إلا ليجيبنا، هذا المعنى الأول.

المعنى الثاني:

المعنى الثاني: هذه الآية متميزة عن غيرها من الآيات.

وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (186)

سورة البقرة

ليس بين العبد وربّه واسطة:

هناك نقطة في القرآن أحب أن أشير إليها، وقد ذكرتها سابقاً، وهي أنه ما من آية فيها هذه الكلمة: يسألونك إلا تلاها كلمة قل:

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ ۖ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ۖ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا النُّبُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (189)

سورة البقرة

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا ۖ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ ۖ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ (219)

سورة البقرة

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ ۖ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ۖ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ۖ وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَمَا كَانَ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَمَا كَانَ كَافِرًا فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (217)

سورة البقرة

في القرآن ما يزيد عن ثلاث عشرة آية بهذه الصيغة، يسألونك قل كذا وكذا، إلا آية واحدة حصراً، هي هذه الآية:

وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (186)

سورة البقرة

ليس في هذه الآية كلمة قل، استنبط من هذا أنه ليس بين العبد وربّه حجاب إطلاقاً، فإذا قال العبد: يا رب، قال الله: لبيك يا عبدي، أنا أنتظر، أنا أنتظر أن تدعوني، أنتظر أن تلتفت إلي، أنتظر أن تتصل بي كي أجيبك، وكي أعطيك سؤالك، وكي أكرمك، وفي الحديث الشريف:

كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَعَا دَعَا ثَلَاثًا، وَإِذَا سَأَلَ سَأَلَ ثَلَاثًا.

رواه مسلم

إن الله يحب الملحّين في الدعاء.

البيهقي في شعبه

إن الله يحب من عبده أن يسأله حاجته كلّها، إن الله يحب من عبده أن يسأله ملح طعامه. ليسأل أحدكم ربه حاجته كلها حتى يسأله شسع نعله إذا انقطع.

الألباني بسند ضعيف

إن الله يحب أن يسمع نداء العبد، وهو يعلم حاله:

قد يسأل سائل: يا رب لماذا أمرتنا بالدعاء، وأنت أعلم بنا من أنفسنا؟ السؤال المطروح الآن هو: ما دام الله يعلم ما نحن عليه، يعلم السرّ وأخفى، يعلم ما ظهر وما بطن، فلماذا أمرنا بالدعاء؟ العلماء قالوا: أمرنا بالدعاء كي نرقى إلى الله مرّتين إذا وقعنا في ورطة، أو في مشكلة، أو لاح لنا شبح مصيبة وأمرنا بالدعاء، فبعد أن دعونا استجيب لنا، هذه الاستجابة تزيدنا يقيناً بأن الله استمع إلى دعائنا، وتزيدنا معرفةً بالله عزّ وجل، وحينما يستجيب الله لنا تزيدنا هذه الآية حباً بالله عزّ وجل، مرّةً نزيدنا علماً به، ومرّةً نزيدنا حباً له، إذا صارت لنا قفزة إيمانية.

إذا وصل الإنسان في معرفته إلى هذا المستوى، ثم وقع في مشكلة فإنه يدعو الله من كل قلبه، فإن أزيحت عنه هذه المشكلة، ارتقى إلى الله مرّتين، ازداد علمه بالله، ازداد يقينه أن الله سمعه، وازداد يقينه أن الله يحبّه، إذاً هذا سر الدعاء، أي:

إن الله تعالى يحب إغاثة اللّهفان.

ضعيف الجامع

أَمْ تَحُبُّ ابْنَهَا أَشَدَّ الْحُبِّ، بَيْنَمَا حَاجَتَهُ لَهَا قَلِيلَةً، هِيَ عَاتِبَةٌ عَلَيْهِ، فَلَمَّا ظَهَرَتْ لَهُ حَاجَةٌ عِنْدَ أُمِّهِ أَقْبَلَ عَلَيْهَا، وَطَرَقَ بِأَبِهَا، وَزَارَهَا صَبَاحاً وَمَسَاءً، هَذِهِ الْحَاجَةُ الَّتِي عَرَضَتْ لَهُ دَفَعَتْهُ إِلَى أُمِّهِ، وَاللَّهُ الْمِثْلُ الْأَعْلَى رَبَّنَا عَزَّ وَجَلَّ أحياناً يَخْلُقُ لَنَا حَاجَةً عِنْدَهُ، أَمَا الْأَنْبِيَاءُ فَمِنْ نَوْعٍ آخَرَ، كَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَصْلِي حَتَّى تَتَوَرَّمَ قَدَمَاهُ، فَيَقُولُ لَهُ أَصْحَابُهُ: "يَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّيْتَ حَتَّى تَوَرَّمْتَ قَدَمَاكَ، أَلَمْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟"، فَيَقُولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ:

### أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا.

متفق عليه عن المغيرة

فَالْأَنْبِيَاءُ لَا يَحْتَاجُونَ إِلَى حَافِزٍ، الْأَنْبِيَاءُ مَعْرِفَتُهُمْ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَإِقْبَالُهُمْ عَلَيْهِ، وَشَوْقُهُمْ إِلَيْهِ، وَاتِّصَالُهُمْ بِهِ لَا يَحْتَاجُ إِلَى حَافِزٍ، هُمْ فَوْقَ الْحَافِزِ، لَكِنِ الْمُؤْمِنِينَ تَحْتَ الْحَافِزِ، يَحْتَاجُونَ أحياناً إِلَى حَافِزٍ، أحياناً الْإِنْسَانُ يَنْسَى، أحياناً يَسْتَرْسِلُ مَعَ الدُّنْيَا، أحياناً يَنْشَغَلُ بِهَا، أحياناً يَرْتَكِنُ إِلَيْهَا، اسْتَرْسَالُهُ وَانْشَغَالُهُ وَرُكُونُهُ لِلدُّنْيَا، وَقَدْ يَنْسَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، أَوْ يَذْكَرُهُ ذِكْرًا شَكْلِيًّا أَوْ صُورِيًّا، أَوْ ذِكْرًا أَجُوفًا، عِنْدَئِذٍ رَبَّنَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَجْعَلُ لِهَذَا الْعَبْدِ عِنْدَهُ حَاجَةً؛ مُشْكَلَةً، مَرَضًا، عَدُوًّا مُخِيفًا.

هَذَا الْمُؤْمِنُ لَا يَعْرِفُ إِلَّا اللَّهَ، لَيْسَ لَهُ مَلْجَأٌ إِلَّا اللَّهُ فَيُبَادِرُ إِلَى الصَّلَاةِ، إِلَى الدَّعَاءِ، إِلَى قِيَامِ اللَّيْلِ، إِلَى التَّهَجُّدِ، يَمْرَغُ جِبْهَتَهُ فِي أَعْتَابِ اللَّهِ، مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّنَا قَدْ سَمِعْنَا صَوْتَهُ، جَاءَنَا فَسَمِعْنَا صَوْتَهُ، فَإِذَا كُنْتَ بَطْلًا كُنْ مَعَهُ دُونَ أَنْ تَحْتَاجَ إِلَى حَافِزٍ، اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يُعِينُنَا عَلَى أَنْفُسِنَا إِذَا رَكُنْتَ إِلَى الدُّنْيَا، يُعِينُنَا عَلَى أَنْفُسِنَا إِذَا اطْمَأَنَّتْ لَهَا، يُعِينُنَا عَلَى أَنْفُسِنَا إِذَا أَصْبَحَتْ عِبَادَاتُنَا شَكْلِيَّةً أَوْ جُوفَاءً، يُعِينُنَا عَلَى أَنْفُسِنَا بِأَنْ تَنْشَأَ لَنَا مُشْكَلَةٌ، وَلَيْسَ أَمَامَنَا إِلَّا اللَّهُ فَندعوه، نُبَادِرُ إِلَى الدَّعَاءِ، وَإِلَى الصَّلَاةِ، وَإِلَى التَّهَجُّدِ، لَكِنِ الْأَكْمَلُ أَنْ تَأْتِيَهُ طَائِعًا لَا مَكْرَهًا.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

عَجِبَ اللَّهُ مِنْ قَوْمٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ فِي السَّلَاسِلِ.

البخاري

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنْ يَا أَبَى؟ قَالَ: مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى.

البخاري ومسلم

إذا: سر الدعاء أن الإنسان أحياناً يغفل، يقصر، يقعد، يركن للعالم، تلمُّ به مشكلة، فهذه المشكلة تضطره إلى أن يدعو، وأن يستجير، وأن يستعيد، عندئذٍ يقترب من الله عز وجل، ويزداد معرفة، ويزداد قرباً، هذا هو الدعاء.

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ أي تؤمن، فتستقيم، عندئذٍ تعرف ماذا تدعو، تؤمن بالله، تتعرف إليه، تستجيب لأمره، تطيعه، عندئذٍ تعرف كيف تدعوه، وتعرف بماذا تدعوه، إلام تدعوه؟ ولماذا تدعوه؟  
﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ هناك شروط للدعاء، أما هذه الآية فلا شروط فيها.

﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ بعضهم قال: هذا من مطلق القرآن، أي أن أي مخلوق مهما كان إذا قال: يا رب، يقول له الله: لبيك يا عبدي، وبعض العلماء استنبط من هذه الآية أن كل داعٍ يُستجاب له من دون شروط ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾.  
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا (122)

سورة النساء

### دعوة إلى الدعاء مهما كان وضع الإنسان:

هنا تجد شرطاً؛ ألا وهو العمل الصالح.

أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (19)

سورة السجدة

من دون شرط، والقرآن تارة يشترط، وتارة يبشّر، وتارة يهون الأمر، هذه الآية تدعونا إلى الدعاء: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ فالإنسان؛ إن لم تكن له صلة بالله، إن لم تكن له وقفة مع الله، إن لم يكن في سجوده دعاء، إن لم يتدلل إلى الله، إن لم يطلب العفو منه، إن لم يطلب منه حاجته مهما دقت، إن لم يطلب منه أن يكفيه مؤونة نفسه في الدنيا فإنه سيضيع، والدعاء أوسع باب إلى الله، وأقرب طريق إلى الله، لذلك المؤمن يلجأ إلى الدعاء.

### أنت بالدعاء تكون قويا:



وهل تصدّق أيها الأخ الكريم أنك بالدعاء تعدُّ أقوى إنسان على وجه الأرض؟ فأنت تدعو مَنْ؟ تدعو خالق الكون، والإنسان تكون أحياناً قوّته ذاتية، وأحياناً تكون قوته ليست ذاتية، فإذا قال لك شخص قوي جداً في البلدة: أيّ شيءٍ تطلبه مني أُلِّبُه على الفور، وهذا رقم هاتفي، وأنت ضعيف، لكن بهذا الدعم أصبحت قوياً، في الأصل أنت ضعيف، لكن تشعر بنشوة معيّنة، أن فلاناً صاحب الحول والطول، فلاناً القوي، أيّ شيءٍ أريده منه يُلبّني فوراً، فأنت إذاً قويٌّ بقوة الذي منحك هذه القوة، هذا تبسيط للأمر.

إذا أردت أن تكون أقوى الناس فتوكّل على الله، أنت بالدعاء تجد الله معك، لذلك لا قلق مع الدعاء، ولا خوف، فمن خصمك؟ عبد، هو بيد الله عزّ وجل، جرثوم بيد الله، يوقفه عند حدّه، وهناك حالات تقع فيها إصابات مرضية لا شفاء منها، ميؤوس منها، ثم يتم الشفاء الذاتي من الله سبحانه وتعالى بدعاء صادق مخلص، وهذا تمّ بفضل الدعاء.

أحياناً يخيم شبح مصيبة كبير جداً، ويُصرف عنك بلا سبب كافٍ، فهذا بفضل الدعاء، فالدعاء مخّ العبادة، والمؤمن أن يدعو الله دائماً.

### إذا أصابك مصيبة فتذكّر مصيبة سيدنا يونس:

بعض الإخوان يحدّثوني أحياناً عن أخ له يعمل عند شخص أو جهة، وله دخل معيّن، فجأةً قُطِعَ هذا الدخل، فشعر بالحرمان، فتوجّه إلى الله عزّ وجل وقال: يا رب أغنني بفضلك عن سواك، قالها بحرقة، وألم، وإخلاص، وصدق، ما هي إلا أسابيع حتى جاء رزقٌ وفير من حيث لا يحتسب، معك الدعاء وتخاف؟ معك الدعاء وتحزن؟ معك الدعاء وتيأس؟ معك الدعاء وتكون سوداوي المزاج؟ معك الدعاء وتبدو حزيناً؟ لا يحزن من يدعو الله عزّ وجل، ولا شيءٌ صعبٌ مهما تكن المشكلة كبيرة، مهما رأيتها كبيرة، يقول أحدهم: يا أخي أنا مشكلتي معقدة ليس لها حل، ما هي مشكلتك التي ليس لها حل؟ فهل هي أصعب مما كان فيه سيدنا يونس؟

لقد استقلّ قارباً فوجد نفسه فجأةً في جوف الحوت، الحوت وزنه مئة وخمسون طناً، وجبته الغذائية أربعة أطنان، فما وزنك بجانبه، فأنت بالنسبة له لقمة، سبعون كيلو، أو ثمانون كيلو بالنسبة للحوت لقمة واحدة، وجد نفسه فجأةً في بطن الحوت، في ظلماتٍ ثلاث؛ في ظلمة الليل، وفي ظلمة البحر، وفي ظلمة بطن الحوت، الله عزّ وجل أعطاك مصيبة قلما تحدث، إذا قلت: هذه ميؤوس منها فمعك الحق، وهذه مصيبة، نعم هي مصيبة حقاً، ومع ذلك:

وَدَا النُّونَ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (87) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَجَعَلْنَاهُ مِنَ الْعَمَةِ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ (88)

سورة الأنبياء

لكن أروع ما في الآية التعقيب الذي ختمت به: ﴿وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ في كل عصر، أتحنن ومعك سلاح الدعاء؟ أتخاف ومعك سلاح الدعاء؟ أتتشاءم ومعك سلاح الدعاء؟ أترتّبك ومعك سلاح الدعاء؟ أتخشى عدواً لئيماً هو في قبضة الله عزّ وجل ومعك سلاح الدعاء؟ أتخشى فقراً مدقماً ومعك سلاح الدعاء؟ أتخشى من إنسانٍ يهدّدك ومعك سلاح الدعاء؟

### الدعاء يُبعد المشكلات:

هذه المعلومات أيها الإخوة ليست للفهم، ولكن للتطبيق، إذا خرجت من بيتك: اللهمّ إني أعوذ بك من أن أضلّ أو أضلّ، أو أزلّ أو أزلّ، أو أظلم أو أظلم أو أجهل أو أجهل علي.

إذا استيقظت من نومك لك دعاء. إذا دخلت بيت الله عزّ وجل: اللهمّ افتح لي أبواب رحمتك. وإذا خرجت من بيت الله إلى شؤونك في الحياة الدنيا: اللهمّ افتح لي أبواب فضلك، ففي الجامع رحمة الله مطلوبة، وفي عملك فضل الله مطلوب.

سافرت: اللهمّ أنت الرفيق في السفر، والخليفة في الأهل والمال والولد، فيجب أن تدعو الله كل يوم؛ قبل أن تقدم على أيّ عمل، قبل أن تسافر، وإذا دخلت البيت، أو خرجت منه، أحياناً يدخل الإنسان فتنشأ مشكلة فيطلق زوجته، يقول لك: حلفت بالطلاق، فلو دخل الإنسان إلى البيت وقال: السلام عليكم، قال الشيطان لإخوانه: لا مبيت لكم في هذا البيت.

إذا جلس إلى الطعام وسمّى بالله عزّ وجل. يقول الشيطان لإخوانه: لا طعام لكم في هذا البيت. ورد في الحديث الشريف عن جابر بن عبد الله أنه سمع النبيّ صلى الله عليه وسلّم يقول:

إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ فَذَكَرَ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ قَالَ الشَّيْطَانُ: لَا مَبِيتَ لَكُمْ، وَلَا عَشَاءَ، وَإِذَا دَخَلَ فَلَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ قَالَ الشَّيْطَانُ: أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ، وَإِذَا لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ عِنْدَ طَعَامِهِ قَالَ: أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ وَالْعَشَاءَ.

مسلم

فهم نائمون وآكلون في ذلك البيت، وطول الليل مشاكل، دخلت البيت يوجد دعاء، خرجت يوجد دعاء، دخلت إلى عملك يوجد دعاء، بعض الأطباء لا يفحص المريض قبل أن يسمي الله عزّ وجل، وقبل أن يسأل الله الهداية إلى المرض الحقيقي، وبعض أصحاب الأعمال كيفما تحرك يدعو الله مستعيناً: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ عجيب؛ فإذا قال أحد من أهل الدنيا الأغنياء أو الأقياء: من كانت له حاجة فليأتني، وجدت الناس يتكاثفون على بيته، يتدافعون، بينما وخالق الكون يقول عزّ وجل كما في حديث أبي هريرة وأبي سعيد أنّهما شهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلّم أنّه قال:

إذا مضى شَطْرَ الليلِ أو ثُلُثَاهُ، ينزلُ اللهُ إلى السماءِ الدنيا فيقول: هل من سائلٍ فيعطى؟ هل من داعٍ فيستجابُ له؟ هل من مُستغفِرٍ فيُغفَرُ له؟ حتى ينفجرَ الصُّبحُ.

صحيح الجامع

كلُّما سألتني أخ سؤال عن قضيةٍ أفلتته مثلاً، أو همُّ أحاط به، أو مشكلة معقّدة لا تُحل، قضية مستحكمة، عقبة كؤود، أقول له: ليس لك إلا الدعاء، صلِّ قيام الليل، واسجد، واسأل ربَّك قبيل الفجر الحاجة كلها، هكذا المؤمن، المؤمن قوي جداً، ليس لأنه قوي، بل هو ضعيف جداً، ولكن لأن الله عزَّ وجل قال: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ أقوى قوَّة في الكون معه، وإذا كان الله معك فمن عليك؟ وإذا كان عليك فمن معك؟

كن مع الله ترَ الله معك واترك الكلَّ وحاذر طمعك

وإذا أعطاك فمن يمنعه ثمَّ من يعطي إذا ما منعك

عبد الغني النابلسي

أطع أمرنا نرفع لأجلك حجبتنا فإننا منحنا بالرضى من أحببنا

ولذ بحمانا واحتم بجانابنا لنحميك مما فيه أشرار خلقنا

علي بن محمد بن وفا

أيها الإخوة الكرام، المؤمن قوي جداً بالدعاء، وبإمكانه أن يقف في وجه أعتى العتاة، وأقوى الأقياء، وأشد الناس تخويفاً، لأنه مع الله.

قَالَ رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرَطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْعَى (45) قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى (46)

سورة طه

إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ

سيدنا موسى كان في اتجاه البحر، وفرعون وراءه، فقال إخوان سيدنا موسى:

فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانَ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ (61)

سورة الشعراء

أين نذهب؟ هذا البحر من أمامنا وفرعون وراءنا، انتهى الأمر، انتهى كل شيء ﴿قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾ ليس من أمل، فالبحر أمامنا وفرعون بكل قوَّته وراءنا، وقد أدركنا.

قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ (62)

سورة الشعراء

ما هذه كلاً؟ ﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ الإله هو هو، والله هو هو، رب موسى هو ربنا، ورب محمد هو ربنا.

### وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ

في غار ثور بوسائل تافهة جداً حمى نبيّه وصاحبه الصديق، عنكبوت، أو حمامة، رسالة سماويةً حُفِظَتْ بهذا السبب الصغير، فإذا كان الإنسان مع الله يصبح أقوى الأقوياء، فالمؤمن معنوياته عالية جداً.

### وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزِنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (139)

سورة آل عمران

آية في القرآن تكفيها:

قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۗ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (128)

سورة الأعراف

الأمور تدور وتدور وتطور، يعلو هذا، ويسقط هذا، وفي النهاية لا تستقر إلا على أن العاقبة للمتقين، اقرؤوا التاريخ الإسلامي فعندما بعث الله النبي محمداً فالذين عادوه، وائتمروا على قتله، وأخرجوه من مكة، وكادوا له، وحاربوه عشرين عاماً كيف استقرت الأمور؟

إِذْ جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (1) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا (2) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا (3)

سورة النصر

هذا قانون إلهي، الله يمتحنك، قد تؤمن، وقد تتوب إلى الله، وقد ترى أحياناً أن الأمور صعبة، الأمور ضيقة، فيها تشديد، الدوائر تدور عليك، لا تياس، ولا تحزن، ولا تخنع، ولا تستسلم، ولا تضعف ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزِنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ بالدعاء.

### لا تغفل عن الدعاء:

يا أيها الإخوة أناسٌ كثيرون جداً يغفلون عن الدعاء، علماً بأنه من أرقى العبادات، والنبي عليه الصلاة والسلام يقول: (الدُّعَاءُ مَخُّ الْعِبَادَةِ) أنت مُقدم على امتحان، مُقدم على عمل عظيم، أسست مشروعاً، أسست تجارة، زرعت أرضاً قل: يا رب ليس لي إلا أنت، الله عز وجل يريدك أن تدعوه لأنه

وعدك بالإجابة، فخالق الكون يفتح لنا باب الدعاء، ونحن نُحجِم؟ ما أشقانا لو فعلنا ذلك! لا نسأله؟ لا ندعوه؟ هل نتأبى؟ إذاً لا نعرفه.

﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ فهل هناك إنسان بلا مشاكل؟ تواجه كل واحد من الناس الكثير الكثير من المشاكل، والله يحلها بالدعاء واحدةً واحدةً، وهو قادر، هذه القضية: يا رب ليس لي إلا أنت، وفقني، ارزقني، زوجني، آوني يا رب، الله موجود.

الوقت لا يتسع للقصاص، والله على كل موضوع من موضوعات الدعاء هناك آلاف القصص والأحداث الواقعية.

وأرجو الله سبحانه وتعالى أن أزودكم ببعض الوقائع المدهشة التي هي ثمرة من ثمرات الدعاء، هل أثر الدعاء قليل؟ الله عز وجل أحياناً يدمر أمة بدعاء واحد، إذا كان الإنسان مؤمناً، مستقيماً، طاهراً، مخلصاً، وأمة كادت له، يدمرها من أجل مؤمنٍ غالٍ عليه، فربنا عز وجل قوي، وهناك آيات كثيرة تؤكد هذا المعنى.

**فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلَفًا وَعَدِّهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ (47)**

سورة إبراهيم

### دعاء النبي عليه الصلاة والسلام في الطائف:

أنت كن مع الله، وعلى الله الباقي، من أشهر الأدعية دعاء النبي عليه الصلاة والسلام في الطائف، قال:

اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَشْكُو ضَعْفَ قَوْتِي، وَقَلَّةَ حِيلَتِي، وَهَوَانِي عَلَى النَّاسِ، أَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، أَنْتَ رَبُّ الْمُسْتَضْعِفِينَ، وَأَنْتَ رَبِّي، إِلَى مَنْ تَكَلَّنِي؟ إِلَى بَعِيدٍ يَتَجَهَّمُنِي أَمْ إِلَى عَدُوِّ مَلَكَتُهُ أَمْرِي. إِنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ غَضَبٌ عَلَيَّ فَلَا أَبَالِي، غَيْرَ أَنَّ عَافِيَتَكَ هِيَ أَوْسَعُ لِي. أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ، وَصَلَّحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، أَنْ يَحِلَّ عَلَيَّ غَضَبُكَ، أَوْ أَنْ يَنْزِلَ بِي سَخَطُكَ. لَكَ الْعُتْبَى حَتَّى تَرْضَى، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ.

الألباني بسند ضعيف

وما أحوج المسلمين إلى هذا الدعاء في هذه الأيام.

(اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَشْكُو ضَعْفَ قَوْتِي، وَقَلَّةَ حِيلَتِي، وَهَوَانِي عَلَى النَّاسِ، أَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، أَنْتَ رَبُّ الْمُسْتَضْعِفِينَ، وَأَنْتَ رَبِّي، إِلَى مَنْ تَكَلَّنِي؟ إِلَى بَعِيدٍ يَتَجَهَّمُنِي أَمْ إِلَى عَدُوِّ مَلَكَتُهُ أَمْرِي. إِنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ غَضَبٌ عَلَيَّ فَلَا أَبَالِي، غَيْرَ أَنَّ عَافِيَتَكَ هِيَ أَوْسَعُ لِي. أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ،

وَصَلِّحْ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، أَنْ يَحِلَّ عَلَيَّ غَضَبُكَ، أَوْ أَنْ يَنْزِلَ بِي سَخَطُكَ. لَكَ الْعُتْبَى حَتَّى تَرْضَى،  
وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ). ماذا كان الجواب؟

سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ  
مِنَ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (1)

سورة الإسراء

الإنسان يتوقَّع الاستجابة، ويقول الله عزَّ وجل: "إن الله عليمٌ قدير"، لكنه قال: ﴿إِنَّهُ هُوَ  
السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ أي أنه سمعك يا محمَّد تدعو في الطائف، فكانت الاستجابة أن جعلك سيِّد الأنبياء  
والمرسلين، وجعلك سيد ولد آدم، وأراك ملكوت السماوات والأرض، وأسرى بك إلى بيت المقدس، وعرج  
بك إلى السماء، وهذا عطاء لا يصدَّق، النبي ما كان يعرف قبل الإسراء أنه سيِّد الأنبياء، سيد ولد آدم  
على الإطلاق، دعا الله عزَّ وجل وكان مستضعفًا، كان ضعيفًا وقد بلغت الآلام ذروتها، فجاءت الإجابة  
من الله عزَّ وجل بأن أسرى به، وعرج به إلى السماء، وأراه ملكوت السماوات والأرض، وأكرمه بهذا.

فأنت عبدًا لو قال لك طفل: كم الساعة يا عم؟ أيعقل أن تتجاهله؟ طفل يسألك وهو عابث: كم  
الساعة؟ ولو كنت تحمل حاجة بيدك أو فتحة الكُم ضيقة، فتضطر أن تزيح الكُم عن الساعة، وأن تدير  
الساعة التي تحيط بمعصمك نحو الأعلى، وتتنظر إليها، وتجيّب الطفل، لأنه سألَكَ، فأنت إنسان تسأل  
خالق الكون ولا يجيبك؟ تسأله، ترجوه، تتذلَّل أمامه، تمرِّغ جبهتك في أعتابه ولا يجيبك؟ مستحيل.

### كن عزيز النفس أمام الخلق ذليلاً أمام الله:

﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ ما أمرنا أن ندعوه إلا ليستجيب لنا، فالسعيد من يدعو الله  
عزَّ وجل، والشقي يأبى، ويستكبر، يوسِّط فلانًا وفلانًا، ويتذلَّل أمام فلان، ويريق ماء وجهه أمام الأقوياء،  
ويبدو أمامهم ضعيفًا فيحتقرونه، ويأبى أن يتذلَّل أمام الله عزَّ وجل، المؤمن الصادق فيما بينه وبين الله  
في أشد حالات الذلِّ، لكنه عزيزٌ أمام الخلق، يرفع رأسه كريم النفس.

يقولون عن سيدنا نور الدين الشهيد، الذي ردَّ أوروبا بأكملها أيام الحروب الصليبية سجد، وقال  
-والله أستحي أن أقول هذه الكلمة إكراماً له، ولكن يجب أن أقولها- قال: "يا رب، من هو الكلب نور  
الدين حتى تنصره؟ انصر دينك"، فالله عزَّ وجل مكَّنه من النصر المبين والعزیز، فالإنسان كلَّمَا كان مع  
الله متذللًا فالله يرفع شأنه، مع الناس كن عزيزًا، لا تتضعضع أمام غني ولا أمام قوي، أنت مؤمن غالٍ  
على الله، ارفع رأسك، كن عزيز النفس، لكن فيما بينك وبين الله مهما شئت تذلل، مهما شئت تبرأ من  
علمك وحولك وقوتك، قبل أن تقدم على أي عمل: "اللهمَّ إني تبرأت من حولي وقوتي وعلمي، والتجأت  
إلى حولك وقوتك وعلمك يا ذا القوَّة المتين"، فيما بينك وبين الله تذلل، مرِّغ جبهتك في أعتاب الله، اتهم

نفسك بالقصور، اتهم نفسك بالضعف والجهل، وعظّم ربّك، أما مع الناس كن عزيز النفس، لا ينبغي للمؤمن أن يذلّ نفسه.

### اطلبوا الحوائج بعزة الأنفس؛ فإن الأمور تجري بالمقادير.

ضعيف الجامع

مَنْ دَخَلَ عَلَى غَنِيٍّ فَتَضَعَّعَ لَهُ ذَهَبَ ثُلُثًا دِينِهِ.

البيهقي بسند ضعيف

المؤمن الصادق يتذلل أمام الله عزّ وجل في السجود، ويشعر بعزّته الكاملة أمام الخلق، الكافر تجده يأبى أن يدعو الله، يستعلي، تكبر نفسه، وهو كالحشرة الوضيعة أمام من هو أقوى منه، المؤمن بالعكس مع الله في منتهى التذلل، ومع الخلق في منتهى العزّة.

قال: ما هذا؟ أكبّر في الإسلام؟ قال: لا معاذ الله، هذا عزّ الطاعة، فنحن نريد مؤمناً عزيز النفس، يرفع رأسه، يثق برّبّه، يعرف قيمة إيمانه، يعرف دوره الخطير في الحياة، لكن إذا خلا مع ربّه، إذا صلّى في بيته، إذا سجد في الليل يذوب عبوديةً لله عزّ وجل، اتهم نفسك ما شئت، اتهمها بالقصور. لذلك باب الانكسار أسرع الأبواب إلى الله عزّ وجل، باب الانكسار أسرع طريق إلى الله، ادخل على الله من باب الانكسار، فالنبي عليه الصلاة والسلام فتح مكّة، هل الفتح قليل؟ عدو عنيد، مسيطر، لئيم، شرس، قوي، متحكّم طوال عشرين سنة، يدخل مكّة فاتحاً بإمكانه أن يبيدهم عن آخرهم، هم تحت رحمة كلمة من شفّيته، قال عليه الصلاة والسلام:

**ما تظنون أني فاعلٌ بكم؟** حاربوه عشرين سنة، قتلوا أصحابه، نكّلوا بأصحابه، ضيّقوا على أصحابه، حاربوه ثلاث مرّات، **ما تظنون أني فاعلٌ بكم؟** قالوا: "أخ كريم وابن أخ كريم"، قال: **اذهبوا فأنتم الطلقاء.**

السيرة النبوية

وانتهى الأمر، دخل مكّة عليه الصلاة والسلام ساجداً على عنق بعيره، كادت نؤابة عامته تلامس عنق بعيره تواضعاً لله.

أيها الإخوة الكرام، بطولتك ليست في الضعف، إذا كنت قوياً نجحت في عملك، سيطرت، بتجارتك رقم واحد، معملك بضاعته رائجة جداً، دخل كبير، صحّة طيّبة، الناس ينظرون لك هكذا، هنا البطولة أن تكون متواضعاً لله عزّ وجل، أروع مثل فعله النبي بعد أن فُتحت مكّة، ودانت له الجزيرة العربيّة عن آخرها، ودخل الناس في دين الله أفواجا، صعد المنبر واستقبل الناس باكياً، وقال:

يا أيها الناس، إني قد دنا مني حقوق من بين أظهركم فمن كنت جلدت له ظهرا فهذا ظهري فليستقد منه، ألا ومن كنت قد شتمت له عرضا فهذا عرضي فليستقد منه، ومن كنت أخذت له مالا فهذا مالي فليستقد منه، لا يقولن رجل: إني أخشى الشحناء من قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم، ألا وإن الشحناء ليست من طبيعتي، ولا من شأني .

مسند أبي يعلى

بإمكانك أن تحافظ على تواضعك وأنت في القمّة؟ على التواضع، والنزاهة، والاستقامة، والورع، والعفة؟ هذه البطولة.

### الخلاصة:

فلذلك أيها الإخوة، اليوم درسنا الدعاء فقط، فالدعاء مَحُّ العبادة، وهو أحد أرقى أنواع العبادات، لذلك ادعُ الله دائماً، بإمكانك أن تتاديه نداءً خفياً، بإمكانك أن تدعوه دون أن تحرك شفتيك، فهناك حالات لا يستطيع المرء أن يتكلم ولا بكلمة واحدة، فليس شرطاً أن ترفع يديك وتقول: يا رب! إنكم لا تتادون أصمّ ولا غائباً، يكفي أن تدعوه بقلبك لا بلسانك، لأن الله مطلع، قل: "يا رب إني تبتأت من حولي وقوّتي، والتجأت إلى حولك وقوّتك يا ذا القوّة المتين، اللهم اكفني شر ما أهمني وما لا أهتمّ له".

أيضا تحركت، طبعاً هناك أذكار في كتاب الأذكار للإمام النووي دقيقة جداً، ولو لم تكن تحفظها، فبأي موقف ادعُ الله:

خرجت من البيت: يا رب يسّر.

عقدت صفقة: يا رب ألهمني صفقة رابحة لا تكن خاسرة.

سافرت: يا رب، فركبت مركبة أو دابة مثلاً: "اللهم إني أسألك من خيرها وخير ما صنعت له، أعوذ بك من شرّها وشرّ ما صنعت له".

أحياناً دابة تدمر الإنسان نهائياً، يقع حادث فيُشل طوال حياته، فرحنا بالمركبة لكنها دمرتنا، فاسأل الله عزّ وجل خيرها وخير ما صنعت له، وتعوّذ بالله من شرّها وشر ما صنعت له.

جلست لتأكل للأكل دعاء، انتهى الطعام هناك دعاء، قمت لتنام للنوم دعاء: "إن أمسكت نفسي فارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها".

وإذا قضى أحدنا حاجة، تبؤل، وأفرغ مثانته فهل هذا الأمر سهل، والكليتان تعملان بانتظام؟ اسأل عندما يصاب الإنسان بفشل كلوي ماذا يحصل؟



والله حدّثني أخ فقال لي: والله لا أستطيع أن أشرب كأساً من الشاي أو الماء في النهار؛ لأن آلة التصفية معطّلة، قالت له الممرضة: لا تشرب ماءً كثيراً الآلة معطّلة، بينما أنت تشرب خمس كؤوس من الماء، لأن الكلية لديك تعمل بانتظام، ولو تعطلت لاحتجت إلى غسيل الدم مرتين في الأسبوع، والوقوف على الدور، انتظار ثماني ساعات، وتحتاج إلى واسطة، وآلام، وبعد ذلك يتبقى من البولة في الجسم بالمائة عشرون، فيصبح بسببها إنساناً آخر، عصبى المزاج، خُلقه ضيق من آثار البولة في الدم، فعندما يفرغ الإنسان مثانته فليس هذا أمراً هيناً ولا بسيطاً، فليقل: الحمد لله الذي أذهب عني ما يؤذيني، وأبقى لي ما ينفعني.

أكلت طعاماً: الحمد لله إذ أدقنتني لذّته، وأبقيت فيّ قوّته، وأذهبت عني أذاه.

إخواننا مستحيل أن يكون إنسان شاكراً نعمة الله، ثم يزيلها عنه، وبالشكر تدوم النعم، له مَعْقِبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُعْزِرُوا مَا بِنَفْسِهِمْ ۗ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ۗ وَمَا لَهُمْ مِّن دُونِهِ مِّن وَّالٍ (11)

سورة الرعد

فنحن نريد صلة بالله مستمرة عن طريق الدعاء، غير الصلوات الخمس، دعاء بإخلاص من دون ضجيج، من دون رفع صوت، من دون رفع الأيدي إلى السماء هكذا، هذا التفاصيل بالدعاء، وإليك آية دقيقة جداً أيضا حول الدعاء:

ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (55)

سورة الأعراف

أيها العبد لا تعتد على إخوانك، تأكل أموالهم بالباطل، وتقول لي: يا رب يا رب بفصاحة، فصاحتك غير مقبولة، مهما تفاصحت في الدعاء، وذكرت الدعاء النبوي الصحيح، والقلقلة قلقلته، والإدغام إدغام، ورفعت صوتك بالدعاء، ولكن هناك مالٌ حرام، وعدوان، فالله عزّ وجل لا يستجيب للمعتدين، لأنه لا يحبُّهم، فالأمر لا يحتاج إلى حذقة، ولا فلسفة، فإذا كان هناك عدوان، ومال حرام، وانحراف، وطُغيان، مهما تفاصحت بالدعاء فلن يستجاب لك، بينما إذا كان هناك استقامة بالحديث معروف:

ذَكَرَ الرَّجُلُ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ثُمَّ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَا رَبِّ يَا رَبِّ - حروف من مخارجها تخرج ملء الفم - وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ وَغُدْيِي بِالْحَرَامِ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ.

من مسند أحمد عن أبي هريرة

لا يستجاب.

## يا سعد، أظب مطعمك تكن مستجاب الدعوة.

الطبراني في الأوسط وفي سنده مقال

معنى أظب مطعمك: ليكن دخلك حلالاً، بعيداً عن الكذب، والغش، والتدليس، والاحتكار، ومُبرأ من كل المحرّمات، إذا وُجد الغش، والكذب، والتدليس، والابتزاز، صار الدخل كله حراماً (أظب مطعمك تكن مستجاب الدعوة) وموضوع الدعاء طويل جداً، وهو من أهم موضوعات الدين، بل الدعاء هو الدين كله.

وبعد، أيها الإخوة الكرام أتمنى على الله عزّ وجل، وأرجو الله أن نعيش الدعاء حقاً، وأن يكون الدعاء أساس حياتنا، أساس تعاملنا مع الله عزّ وجل.

والحمد لله رب العالمين.

